﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

[يس: 53]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

لـمّا كان الإخبارُ بالنَّفخِ لا ينفي التَّعدُّدَ قال مُحقِّرًا لأمرِ البعثِ بالنِّسبةِ إلى قُدرته مُظهرًا للعناية بتأكيدِ كونِ النَّفخةِ واحدةً، فلا يُكرِّرُ استِدعاؤُهم للحضورِ، بل النَّفخُ الواحدُ يُخرِجُهم منَ الأجداثِ ويسيرُ بهم ويُحضِرُهم للحسابِ[1].

العلاقةُ بين كونِ النَّفخةِ الواحدةِ تُخرِجُهم منَ الأجداثِ وتُحضِرُهم للحسابِ

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُحْضَرُونَ﴾: (حضر) أصلٌ يدلُّ على إيرادِ الشَّيءِ ووُرودِه ومُشاهدتِه[2]، والحضورُ: نقيضُ المغيب والغيبةِ، وأحضَرَ الشَّيءَ وأحضَرَه إيّاه[3]، والإحضارُ: جَعلُ الشَّيءِ حاضرًا، وهو في الآيةِ: إحضارٌ للحسابِ والجزاءِ والعقابِ[4].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ سبحانَه: ما كانت تلك النَّفخةُ المذكورةُ إلّا نفخةً واحدةً، فإذا هم قد أُحضِروا مُجتمِعينَ لدينا دونَ أن يتخَلَّفَ منهم أحدٌ[5].

جميعُ الخلقِ يُحضَرونَ عندَ الله ﷻ بصيحةٍ واحدةٍ

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### مُناسبةُ الفصلِ في الآيةِ:

جاء بجملةِ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ على طريقِ الفصل

الصَّيحةُ يومَ الحشرِ واحدةٌ، تتقرَّرُ ولا تتكرَّرُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 144، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 39.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حضر).
(3) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (حضر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 12، و30/ 151.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 459، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 430، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 697.

لتُفيدَ تأكيدَ قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ الآيةَ؛ لأنَّه لمّا عبَّر بالنَّفخِ كان الظّاهرُ أن يكون نفخةً واحدةً، لدلالةِ الفعلِ ﴿وَنُفِخَ﴾ على المعنى المُطلقِ، فجاءت جملةُ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾؛ لتُفيدَ تأكيدَ كونِ الصَّيحةِ واحدةً لا تتكرَّرُ، وإنَّما أكَّد مضمونَ جملةِ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وقرَّرَ معناها لأنَّ أمر إحياءِ النّاسِ جميعًا منذ آدمَ إلى آخرِ إنسانٍ في الدُّنيا واستِدعائِهم إلى الحشر وإحضارِهم كلِّهم أمرٌ عظيم، لكنَّه هيِّنٌ عند الله، فصيحةٌ واحدةٌ تكفي لذلك.

### بلاغةُ الفَذْلكةِ في الآيةِ:

إجمالُ الكلامِ بعد تفصيلِه ليكونَ بمثابةِ جملةِ التَّذييلِ

لمّا أخبرَ الله تعالى أنَّه إذا نُفِخَ في الصّورِ فإنَّ جميع النّاس إلى ربِّهم ينسلون جاء قولُه تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ إجمالًا لِما سبقَ ونتيجةً لِما تحقَّقَ، بمعنى: أنَّ الصَّيحةَ أحيَتْهم وجعلَتْهُم يخرُجونَ منَ الأجداثِ مُسرِعين، وجمعَتْهم في أرضِ المحشَرِ، فيكونُ الكلامُ من قَبيلِ الفَذْلكةِ[1] بطريقةِ الإجمالِ بعد التَّفصيلِ، فيكونُ بمثابة جملة التَّذييل في جريِ الكلام مجرَى المثَل في حكايتِه والتَّمثُّلِ به، مع تضمُّنِه تقريرَ ما تقدَّم وتأكيدَه كما مرَّ في بيان مُناسبةِ الفصلِ في الآيةِ.

### بلاغةُ القصرِ بالنَّفي و﴿إِلَّا﴾:

توبيخُ الكافرين على إنكارِهم الحقَّ، وإصرارِهم على الخطأ

لمّا كان أسلوبُ القصرِ بالنَّفي و﴿إِلَّا﴾ يُسلَكُ مع مخاطَبٍ مُخطئٍ في اعتقادِه وهو مُصِرٌّ على خطئِه ويُنكرُ ذلك عبَّرَ بقولِه تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ للإيذانِ بأنَّ الكافرين الذين تندَّموا يوم القيامةِ كانوا مُنكرين للبعثِ، وكانوا مُصرّين على إنكارِهم مع تذكيرِ الرَّسولِ ﷺ لهم وتبليغِهم، ففيه ردٌّ على استبعادِهم البعثَ، وفي التَّعبيرِ بهذا الأسلوبِ توبيخٌ لهم؛ لِما يُفيدُه منَ الإشعار بأنَّكم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 39.

قد وُعِدتُم بهذه الصَّيحةِ وبُلِّغتم بها لكنَّكم أنكرتُموها واستبعدتُم وقوعَ البعثِ، وأصرَرْتُم على خطئِكم، ولم تتذكَّروا وتتَّعِظوا.

**نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿كَانَتْ﴾:**

الكينونةُ دلالةٌ على أنَّ الصَّيحةَ أمرٌ ثابتٌ مقطوعٌ به

عُبِّرَ بلفظِ ﴿كَانَتْ﴾ دونَ أن يُقالَ: (إنْ هي إلّا صيحةٌ واحدةٌ)؛ لأنَّه لـمّا كان الكلامُ في بيان تصويرِ حالةِ الحشرِ، وما يقولُه الكافرون يومَ القيامةِ، وكان في بيانِ مُحصَّلِ ما حدَثَ ناسبَ أن يُعبَّرَ بلفظِ (كانَ)، ويُفيدُ التَّعبيرُ بالكونِ أيضًا الإشعارَ بأنَّ ما بُلِّغتُم به من أمرِ الصَّيحةِ كان أمرًا ثابتًا راسخًا مقطوعًا به.

**نكتةُ إلحاقِ تاءِ التَّأنيثِ بالفعلِ:**

النَّفخةُ الأخيرةُ في الصّورِ هي الصَّيحةُ في السّياقِ المذكورِ

أُلحِقَتْ تاءُ التَّأنيث بالفعلِ في قولِه: ﴿كَانَتْ﴾ للإشارة إلى أنَّ اسمَ (كان) مُؤنَّثٌ، فيعودُ إلى المفهوم من قولِه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: إن كانتِ النَّفخةُ إلّا صيحةً واحدةً، ليُفيدَ أنَّ النَّفخةَ الأخيرةَ التي هي علَمٌ للإحياءِ والبعثِ يومَ القيامةِ هي الصَّيحةُ.

**دلالةُ الاستثناءِ في سياقِ الآيةِ:**

البعثُ والحشرُ يومَ القيامةِ يحصُلانِ بقدرةِ اللهِ النّافذةِ

لـمّا جاء قولُه تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ على طريقِ الاستثناءِ المُفرَّغ أفادَ الاستثناءَ من أعمِّ العامِّ؛ بمعنى: ما كانت النَّفخةُ شيئًا منَ الأشياءِ إلّا صيحةً واحدةً[1]، ولـمّا كان الخبرُ هو محطَّ الفائدةِ وكان مُقيَّدًا بوصفِ ﴿وَٰحِدَةً﴾ كان المقصودُ ومحطُّ النَّظرِ من الاستثناءِ وصفَ الصَّيحةِ بالواحدةِ، بعد العلم بوُقوعِها في قولِه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: ما كانت تلك النَّفخةُ إلّا صيحةً واحدةً، ليُفيدَ الاستثناءُ مع وصفِ الصَّيحةِ بالواحدةِ أنَّه لا يُكرَّرُ استِدعاؤُهم للحضورِ، بل النَّفخُ الواحدُ يُخرِجُهم منَ القُبورِ ويسيرُ بهم ويُحضِرُهم للحسابِ، فنكتةُ التَّعبيرِ بالاستثناءِ المُفرَّغ المنوطِ

(1) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 12/ 368، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 293.

بوصفِ الصَّيحةِ بالواحدةِ تهوينٌ أمرِ البعثِ والحشرِ يوم القيامةِ؛ لأنَّهما يحصُلان بقدرةِ اللّه العظيمةِ الكاملةِ النّافذةِ، فلا واسطةَ ولا أسبابَ ينوطانِ بها كما يُشاهدُه النّاسُ عند بعثِهم وحشرِهم[1].

### مُناسبةُ التَّعبيرِ بالصَّيحةِ:

هناك صيحةٌ أماتتِ النّاسَ، وصيحةٌ أخرى أحيَتْهم وجمعَتْهم في المحشرِ

لمّا قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ كان الظّاهرُ أن يُقالَ: (إن كانت إلّا نفخةٌ واحدةٌ)، لكنَّه عدَلَ عن هذا التَّعبيرِ إلى قولِه: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ لبيانِ سهولةِ الأمرِ ويُسرِه عندَ اللّه تعالى، فكان لفظُ الصَّيحةِ أنفعَ للمقامِ؛ لأنَّ الصَّيحةَ صوتٌ والنَّفخَ فعلٌ، والصَّوتُ أسرَعُ وأخَفُّ، كما أنَّ في ذكرِ الصَّيحةِ إشارةً إلى عِظَمِ شأنِها، وأنَّها بقدرِ اللّه، لمُقابلتِها بالصَّيحةِ في قولِه: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، فصيحةٌ عظيمةٌ أخذَتْهم فأماتَتْهم، وصيحةٌ عظيمةٌ أُخرَى أحيَتْهم وجمعَتْهم في المحشرِ.

### فائدةُ الفاءِ في قولِه: ﴿فَإِذَا هُمْ﴾:

في موقفِ القيامةِ لا شيءَ يعدلُ رهبةَ مشهدِ حُضورِ النّاسِ أمامَ اللّه تعالى

تُفيدُ الفاءُ في قولِه: ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ التَّرتيبَ والتَّعقيبَ، وهو المُناسبُ لمعنى المُفاجأةِ في (إذا)، والمعنى يترتَّبُ على الصَّيحةِ الواحدةِ، ويعقبُها من غيرِ مُهلةٍ ما حضورُ جميعِ النّاسِ للحسابِ لا يتخلَّف منهم أحدٌ، ليُفيدَ أنَّه عقبَ الصَّيحةَ الأخيرةَ يُحضَرون جميعًا عند اللّه تعالى لأجلِ الحسابِ.

### دلالةُ (إذا) في السّياقِ الكريمِ:

مُباغتةُ النّاسِ بإحضارِهم في موقفِ الحسابِ مُباشرةً بعد الصَّيحةِ

(إذا) في قولِه: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ للمُفاجأةِ، بمعنى: حصولِ مضمونِ الجملةِ التي بعدَها سريعًا وبغتةً وبدونِ تهيُّؤٍ؛ لتفيدَ (إذا) الفُجائيَّةُ مباغتةَ النّاسِ بسرعةِ الحضورِ وهم ينسلون عندَ اللّه تعالى، والمعنى: بمُجرَّدِ وقوعِ الصَّيحةِ باغتَهم الأمرُ وأُحضِروا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 163 - 164، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 39.

موقفَ الحسابِ بسرعةٍ لم يتخلَّفْ منهم أحدٌ، ومن غيرِ لُبثٍ ولو طرفةَ عينٍ[1].

**سرُّ إعادةِ حرفِ المُفاجأةِ ﴿فَإِذَا﴾:**

لـمّا كان قولُه: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ على معنى التَّأكيدِ لقولِه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ – بحسبِ ما تقدَّمَ في مُناسبةِ الفصلِ في الآيةِ – كان التَّفريعُ بالفاءِ، في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، بمنزلةِ العطفِ على قولِه: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، فكأنَّ التَّقديرَ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، و﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، وإعادةُ حرفِ المُفاجأةِ إيماءٌ إلى حصولِ مضمونِ الجملتَينِ المُقترنتَينِ بحرفِ المُفاجأةِ في مثلِ لمحِ البصرِ، حتَّى كان كلاهما مُفاجَأً في وقتٍ واحدٍ[2].

إعـادةُ حـرفِ المُفاجأةِ إيماءٌ إلى حصولِ ما ذُكر في لمحِ البصرِ

**دلالةُ الضَّميرِ ﴿هُمْ﴾ في السّياقِ:**

يدُلُّ الضَّميرُ ﴿هُمْ﴾ في قولِه: ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، على عمومِ النّاسِ، بقرينةِ لفظِ: ﴿جَمِيعٌ﴾، والمعنى: فإذا النّاسُ جميعٌ لدينا مُحضَرونَ.

بـيـانُ أنْ لا أحـدَ يُستثنَى مـنَ الـحشرِ والحسابِ

**دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿جَمِيعٌ﴾:**

لـمّا كان لفظُ ﴿جَمِيعٌ﴾ بمعنى: (مجموع)، مُفيدًا معنى الشُّمولِ والدَّلالةِ على الاجتماعِ أفادَ أنَّ قولَه: ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾ بمعنى: فإذا هم مجموعونَ مجتَمِعونَ عند اللّه، فيُفيدُ التَّعبيرُ بلفظِ ﴿جَمِيعٌ﴾ النَّصَّ على عدَمِ تخلُّفِ أيِّ أحدٍ منَ النّاس يوم الحشرِ واجتماعهم عند اللّه، وإن كانوا في الدُّنيا وفي قُبورِهم مُتفرِّقين.

لا تـخـلُّـفَ لأيِّ أحدٍ منَ النّاسِ عن الحشرِ يومَ يُحشَرُ النّاسُ

**نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿لَّدَيْنَا﴾:**

عُبِّرَ بلفظِ (لدَى) دونَ (عندَ) لمُناسبةِ المقامِ، وبيانُه: أنَّه لـمّا

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 270، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 172، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 39.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 39.

كان الظَّرفُ (لدَى) لا يُستعمَلُ إلّا للحاضرِ القريبِ، وكان الظَّرفُ (عندَ) يُستعملُ لِما يكونُ عند الشَّيءِ، سواءٌ أكان قريبًا أم بعيدًا عنه، إذ يُقالُ: (عندي مالٌ) وإن كان غائبًا، ولا يقالُ: (لديَّ مالٌ)، إلّا إذا كان حاضرًا[1]، فلمّا كان الأمرُ كذلك كان التَّعبيرُ بـ﴿لَّدَيْنَا﴾ أنسَبَ بمقامِ حضورِ جميعِ النّاسِ لدَيه تعالى.

(لـــــدَى) لا تُستعملُ إلّا للحاضرِ القريبِ، وهي دالَّـــةٌ على الحضورِ الفعليِّ لدَيه

**فائدةُ تقديمِ الظَّرفِ: ﴿لَّدَيْنَا﴾:**

أفادَ تقديمُ الظَّرفِ: ﴿لَّدَيْنَا﴾ على عاملِه: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ الاهتمامَ والعنايةَ بالمُقدَّمِ، للتَّنبيهِ إلى عظمةِ الحضورِ لدَى اللّه، وأفادَ التَّقديمُ أيضًا التَّخصيصَ، والمعنى: هم جميعٌ لدَينا وليس لدَى غيرِنا مُحضَرون، ويحتملُ أن يكونَ ﴿لَّدَيْنَا﴾ ظرفًا لـ﴿جَمِيعٌ﴾، والمعنى: فإذا هم مُجتمعون لدَينا، ففيه تخويفٌ وترهيبٌ كذلك.

ترهيبُ العبادِ من هَـــولِ الحضورِ عند اللّه للجزاءِ والحسابِ

**نكتةُ الإضافةِ إلى نونِ العظَمةِ:**

أُضيفَ الظَّرفُ ﴿لَّدَيْنَا﴾ إلى نونِ العظمةِ للإشعارِ بأنَّه لا يكونُ مثلُ هذا الجمعِ للعباد وحضورِهم إلّا عند اللّه تعالى، وبأنَّ اجتماعَ العبادِ في هذا الموقفِ من مُقتَضَى عظمةِ اللّه ﷻ، وفي الإضافةِ تخويفٌ للعباد من ذلك الموقفِ المهيبِ.

لا تجتمعُ البشريَّةُ قاطبةً إلّا عند اللّه في عرَصاتِ القيامةِ

**نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ:**

عُبِّرَ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ في قوله: ﴿مُحْضَرُونَ﴾؛ لأنَّه ليس المقصودُ في السّياقِ بيانَ الفاعلِ، بل بيانَ حضورِ العباد واجتماعِهم لدَيه ﷻ، ولتصويرِ الحالةِ وما فيها من الرَّهبةِ، وأفاد التَّعبيرُ بصيغةِ المبنيِّ للمفعول أيضًا أنَّ هذا الأمرَ لابدَّ منه، ولا يُمكنُ التَّخلُّفُ عنه[2]، وأنَّ إحضارَهم لا يكونُ باختيارِهم.

إحضارُ النّاسِ للحشرِ لا يكونُ باختيارِهم، بل بأمرِ اللّه وإرادتِه

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، تح، المبارك، ص: 209.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 144.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»